مشهد

قومي من تحت الردم كزهرة لوز في نيسان

يا ستَّ الدنيا يا بيروت

ذهول يحط على الرؤوس لنكبة بيروت. ذهول وحب ينزف لمدينة عربية طالما كانت حلماً في ليل الشعر والحرية. نستشعر في «قسم الثقافة» ثقل الصدمة وعجز الحنجرة عن القول، هذا النص لنزار قباني - وهو مزيج من مقالة وأغنية وصرخة

نزار قباني

1

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ
مَنْ باعَ أساوِرَكِ المشغولةَ بالياقوتْ؟
من صادَرَ خاتمكِ السّحريَّ،
وقصَّ ضفائركِ الذهبيَّةْ؟
مَـن ذبـحَ الـفـرحَ الـنـائـمَ فـي عـينـيكِ الخضراوينْ؟
من شطبَ وجهكِ بالسّكّينْ،
وألقى ماءَ النارِ على شفتيكِ الرائعتينْ؟
من سمَّمَ ماءَ البحرِ، ورشَّ الحقدَ على الشطآنِ الورديَّةْ؟
ها نحنُ أتينا.. معتذرينْ.. ومعترفينْ
أنّا أطلقنا النارَ عليكِ بروحٍ قبليّةْ
فقتلنا امرأةً.. كانت تُدعى «الحريّةْ».

2

ماذا نتكلّمُ يا بيروتْ
وفي عينيكِ خلاصةُ حزنِ البشريّةْ
وعلى تهديلِ المحترقينْ.. رمادُ الحربِ الأهليّةْ
ماذا نتكلّمُ يا مروحةَ الصّيفِ، ويا وردتَهُ الجوريّةْ؟
من كانَ يفكّر أن نتلاقى - يا بيروتُ - وأنتِ خرابْ؟
من كانَ يفكّر أنّ العينَ تقاتلُ في يومٍ ضدَّ الأهدابْ؟
ماذا نتكلّم يا لؤلؤتي؟
يا سنبلتي
يا أقلامي
يا أحلامي
يا أوراقي الشعريّةْ
من أينَ أتتكِ القسوةُ يا بيروتُ،
وكنتِ برقّةِ حوريّةْ؟
لا أفهمُ كيفَ انقلبَ العصفورُ الدوريُّ
لقطّةِ ليلٍ وحشيّةْ..
لا أفهمُ أبداً يا بيروتْ
لا أفهمُ كيفَ نسيتِ اللهَ
وغُدتِ لعصرِ الوثنيّةْ.

3

قومي من تحتِ الموجِ الأزرقِ، يا عِشتارْ
قومي كقصيدةِ وردٍ
أو قومي كقصيدةِ نارْ
لا يوجدُ قبلكِ شيءٌ.. بعدكِ شيءٌ.. مثلكِ شيءٌ
أنتِ خلاصاتُ الأعمارْ
يا حقلَ اللؤلؤْ
يا ميناءَ العشّقْ
ويا طاووسَ الماءْ
قومي من أجلِ الحبِّ، ومن أجلِ الشّعراءْ
قومي من أجلِ الخبزِ، ومن أجلِ الفقراءْ
الحبُّ يريدكِ.. يا أحلى الملكاتْ
والربُّ يريدكِ.. يا أحلى الملكاتْ
ها أنتِ دفعتِ ضريبةَ حسنكِ مثلَ جميعِ الحسناواتْ
ودفعتِ الجزيةَ عن كلِّ الكلماتْ.

4

قومي من نومكِ
يا سُلطانةُ، يا نوّارةُ، يا قنديلاً مشتعلاً في القلبْ
قومي كي يبقى العالمُ يا بيروتْ
ونبقى نحنُ
ويبقى الحبُّ
قومي
يا أحلى لؤلؤةٍ أهداها البحرْ
الآن عرفنا ما معنى
أن نقتلَ عصفوراً في الفجرْ
الآنَ عرفنا ما معنى
أن ندلقَ فوقَ سماءِ الضيفِ زجاجةَ حبرْ
الآن عرفنا..
أنّا كُنّا ضدَّ اللهِ.. وضدَّ الشّعرْ.

5

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ
يا حبثَ الوعدِ الأوّلْ.. والحبُّ الأوّلْ
يا حبثَ كتبنا الشعرْ
وخبّأناه بأكياسِ المُخملْ
نعترفُ الآنَ .. بأنّا كُنّا يا بيروتُ،
نُجنّبُكِ كالبدوِ الرُّحّلْ
ونُمارسُ فعلَ الحبِّ.. تماماً
كالبدوِ الرُّحّلْ....
نعترفُ الآنَ .. بأنّكِ كُنتِ خليلتنا
ناوي لفراشكِ طولَ اللّيلْ
وعندَ الفجرِ، نهاجرُ كالبدوِ الرُّحّلْ
نعترفُ الآنَ.. بأنّا كُنّا أمَيّنْ
وكُنّا نجهلُ ما نفعلْ
نعترفُ الآنَ، بأنّا كُنّا مِن بينِ القَتَلَةْ
ورأينا رأسكِ
يسقطُ تحتَ صخورِ الرَّوشةِ كالعصفورْ
نعترفُ الآنَ
بأنّا كُنّا - ساعةَ نُفّذَ فيكِ الحُكمُ - شهودَ الزورْ.

6

نعترفُ أمامَ اللهِ الواحدِ
أنّا كُنّا منكِ نغارْ
وكانَ جمالكِ يؤذينا
نعترفُ الآنَ
بأنّا لم ننصفْكِ.. ولم نعذُرْكِ.. ولم نفهمْكِ
وأهديناكِ مكانَ الوردةِ سِكّينا
نعترفُ أمامَ اللهِ العادلِ
أنّا راودناكِ
وعاشرناكِ
وضاجعناكِ
وحمّلناكِ معاصينا
يا ستَّ الدنيا، إن الدنيا بعدكِ ليستْ تكفينا
الآنَ عرفنا.. أنَّ جذوركِ ضاربةٌ فينا
الآنَ عرفنا.. ماذا اقترفتُ أيدينا.

7

اللهُ .. يفتّشُ في خارطةِ الجنّةِ عن لُبنانْ
والبحرُ يفتّشُ في دفترهِ الأزرقِ عن لُبنانْ
والقمرُ الأخضرُ
عادَ أخيراً كي يتزوّجَ من لُبنانْ
أعطيني كفَّكِ يا جوهرةَ اللّيلِ، وزنبقةَ البلدانْ
نعترفُ الآنَ
بأنّا كُنّا ساديّينَ، ودمويّينَ
وكُنّا وكلاءَ الشيطانْ
يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ
قومي من تحتِ الردمِ، كزهرةِ لوزٍ في نيسانْ
قومي من حُزنكِ
إنّ الثورةَ تولدُ من رحمِ الأحزانْ
قومي إكراماً للغاباتِ
وللأنهارِ
وللوديانْ
قومي إكراماً للإنسانْ
إنّا أخطأنا يا بيروتْ
وجئنا نلتمسُ الغفرانْ.

8

ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ المجنونةْ
يا نهرَ دماءٍ وجواهرْ
ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ القلبَ الطيّبِ
يا بيروتُ الفوضى
يا بيروتُ الجوعِ الكافرِ.. والشّبعِ الكافرِ
ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ العدلِ
ويا بيروتُ الظلمِ
ويا بيروتُ السّلمِ
ويا بيروتُ القاتلِ والشاعرْ
ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتُ العشقِ
ويا بيروتُ الذبحَ من الشّريانِ إلى الشّريانْ
ما زلتُ أحبُّكِ رغمَ حماقاتِ الإنسانْ
ما زلتُ أحبُّكِ يا بيروتْ..
لماذا لا نبتدئُ الآنْ؟

(من مجموعة «إلى بيروت الأنثى مع حبي»، 1981)

ميناء بيروت بعد الانفجار (Getty)

أحدهم أضاع يده

أحدهم خرج من هباته الوطنية، رافعاً راية الموت عالياً أو الموت مطلقاً. متخذاً من بزته العسكرية درعاً ضد كل ما تأسس من أحزان وألم.. لا تسعه رقعة الوطن الجغرافية، بصفته ممتداً بالحزن أو بصفته منقطعاً عن الحاضر بحبل من اليأس لا يشده إلى المستقبل إلا كما يجرّ الأمل حماراً من الآدميين إلى سماء لا يمكنه أن تمطر سوى وهم.. أحدهم أضاع يده ولم يلتقط سوى إصبع واحد أشار به إلى الوطن. (عبد الأمير جرص)

زاوية

خيامٌ تمدّ أحزانها المطلية بذهب الصمت

أُسميكِ بيتي أيها الندم

مدن محرومة من بيوتها، مدن محرّمة على بيوتها وأخرى صالحة للبكاء، تخرج الليلة من بيوتها وفي يديها نهر يبكي

عبد الأمير جرص

أحببتك يا كوكب الأرض
يا تراب الأجداد
أيّتها البيوض المدفونة في الأمل
أيها الأمل
يا شيخنا
لماذا كل هذه البيوض المدفونة؟
لماذا كل هذه العناصر؟
أتقمّص ساعة الحائط
وأدقّ
أدقّ
أدقّ
بينما العالم كلّه يدور
عكس اتجاه عقارب الساعة.

■■■

ماذا سأصنع بهذه الأهرامات؟
بقبور عالية؟
بموتى يشخّرون على حسابك
وعلى حسابك أيها المغفل..
يا شجري المتطاول
يا أعناق صباحات هرمة
يا شخير الكواكب
ويا هوادج في الآفاق
ماذا سأصنع بكل هذه الأماليد؟
مدن منزوعة الأرض
وأخرى صالحة للبكاء
تنام على ضفة الآخرة
مدن بأسنان بيض
وبأحزان مطلية بذهب الصمت المتطاول
رأيت يدي تنام سمعت يدي تنام
شممت يدي تنام

■■■

مدن تمتد كذيل
مدن تستثمر أحزانها المطلية في بناء سد ضخم
مدن تخاف الأنهار
مدن محرومة من بيوتها
مدن محرّمة على بيوتها
وأخرى صالحة للبكاء
تخرج الليلة من بيوتها وفي يديها نهر يبكي

وتذهب الى المدينة، كانت الصباحات تمدّ أعناقها نحو خيام مسعورة

رأيتُ يدي تهرم سمعتُ يدي تهرم..
شممتُ يدي تهرم

■■■

وتذهب الى المدينة
كانت الصباحات تمدّ أعناقها نحو خيام مسعورة
أسميك أهلي أيتها الخيام المسعورة
أسميك نهري أيتها الكآبة
أسميك بيتي أيها الندم
أنا الخارج من بيتي الى أهلي لأرمي الصباحات في نهر
رأيتُ يدي تغرق سمعتُ يدي تغرق
شممتُ يدي تغرق

فذهبت إلى النهر
خيام كثيرة تحوّل النهر إلى غرق محض
خيام كثيرة تحوّل الماء إلى عطش محض
وأخرى تمدّ أحزانها المطلية بذهب الصمت
وترمي أعقاب سجائرها في الأمل
ما أروع شخير الموتى
ما أجمل أن نبني سدّاً ضخماً
وما أعلى الأهرامات
قبر «رع» أكبر من بيتنا..
قبر «أخناتون» أجمل من بيتنا
وهذا الذهب المتطاول ..
لا يشبه سكوتنا كثيراً
لا يشبه موتنا
كثيراً.

(شاعر عراقي، 1965 - 2003)

مدينة تنام على ضفة الآخرة (Getty)

إطلالة

التنديد بقوانا كبشر

النشيد المكتوم للإنسان

سواء حضرتْ الحرب أم غابتْ، فلها تلك القدرة على اختبار إنسانيتنا، إذ لا تتوقف عن امتحان القيم ودفع الإنسان إلى بلوغ ذرى استجاباته النفسية

سومر شحادة

يرمي الأدبُ بصورةٍ عامة إلى المشترك الإنساني؛ حتى إزاء الحروب التي تخربُ علاقات البشر وتباعد فيما بينهم، قلّما يحيدُ الكاتب عن هذه السمة الأدبيّة التي تَنقلُ الواقع الضيق على هيئةِ واقع أرحب، يتجاوزُ القتيل والقاتل إلى حدث القتل ذاته، ويتجاوزُ حدثَ القتل أيضاً إلى أمارات السلام والعيش.

إذا ما أراد الكاتب أن يتّخذَ موقفاً في أعماله، فهو يتّخذهُ ضد الحرب أولاً، لا ضدَّ المتحاربين. إذ ما إن تقع الحرب حتى يعي الجميع أنّ المأساة قد وقعت، ولا يوجدُ أدبٌ يستطيع منع المأساة التي ما لبثت تتكرر طوال الأزمنة. وإنّما هناك أدبٌ قد يجمّلها، لا في دفع الآخرين إلى القتال، وإنّما عبر قراءات سرديةٍ في العنف، وعبر إعادة العنف إلى النّفس وأزماتها، ومن خلال البحث عن مضامينَ إنسانيّة تُظهر معادن البشر بعبورهم تجربة الحرب غير الرحيمة.

في الإلياذة يتّضحُ درس الأدب الأمضى فيما يرتبط بالحرب موضوعاً. رغم أنّ هوميروس كتب صفحاتٍ كثيرةً في وصف الحرب عتاداً والمعارك قتالاً، ورغم الأوصاف المسهبة في تمجيد البطولة والقوة، إلا أنّ ما يبقى من ذلك النص الملحمي في دخيلة القارئ، بعد خفوت أصوات المعارك، تجهيزاً ووصفاً وحشداً، هو المواقف الإنسانية التي تنضجُ في صدور المتحاربين وتضفي على المعارك التي لم تتوقف شيئاً من النشيد المكتوم للإنسان الذي أرهقه القتال. وهو رجاءُ أن يتوقف الموت، أن تتوقف تلك الآلة الباردة التي اخترعها الإنسان وألهبتها الآلهة بالنار والعقائد. ما يبقى هو خوف المحبين على أحبتهم وخوف الزوجات من انهيار أعمدة بيوتهن. إلى جانب لحظات الوداع التي تمثلها زوجة هيكتور أخلص التمثيل، ولحظات الفقدان التي يمثلها والده أخلص التمثيل، ومواقف الصداقة التي يمثلها أخيليوس عند مقتلِ صديقه باتروكلوس.

لكن اعتبار الحرب موضوعاً سردياً هو أمرٌ يقع على مفارقة شاقة، فأن نصوّر حدوث حرب هو فعلٌ يتمُّ لأجل التنديد بقوانا كبشر، وبسعينا غير النهائي لأن نخرب الكوكب ونثريه بالدماء. أمّا بالنسبة للمحارب، فقد يجدُ المعالجة برمّتها معالجة مختلفة. ثمة في رواية «صحراء التتار» للكاتب الإيطالي دينو بوتزاتي(1906-1972) مثالٌ بارعٌ عن حرب لا تقع، وبالرغم من عدم وقوعها فهي تُهدر حياة بطل الرواية دروغو. يذكر الكاتب أنّه كتب الرواية كي يتندّر بوظيفته محرراً أدبياً، وأخذ موضوع الحرب، التي لا تحدث، مثالاً للوظائف والأعمال التي تَسلبُ عمر الإنسان من غير طائل، وتُهدرُ سني شبابهِ وراء «المكاتب» والتي تُمثّلُ في الرواية بحصن يقع على تخوم الصحراء، حيث يعيش البطل لثلاثين عاماً في انتظار قدوم الأعداء. إنّ غياب الحرب هُنا، لَعِبَ دوراً في تحطيم حياة المحارب، وبتر غايتها. وقد عاش حياته منتظراً، بين أناسٍ أغراب وفي بيئة قاسية. وما إن تحينَ الحرب يُنقلُ من الحصن، بسبب المرض، ويموت في نزل على الطريق قبل عودته إلى منزله. بدا غياب الحرب أصعب، بالنسبة لرجل عسكري، من حدوثها. ولا جدوى الأعمار التي تُوضَعُ في مهبّ الحرب تمتدُّ في هذه الرواية إلى فكرة غياب الحرب، أو انتظارها.

> في صمت الحروب وانتظارها، ينشأ رعبٌ آخر

سواء حضرتْ الحرب أم غابتْ، فلها تلك القدرة على اختبار إنسانيتنا، إذ لا تتوقف عن امتحان القيم ودفع الإنسان إلى بلوغ ذرى استجاباته النفسية. بين أصوات المعارك يطغى نغمٌ يائس بأن ينجو المقاتلون، وفي صمتها وانتظارها، ينشأ رعبٌ آخر، وترقّبٌ أن يحرمَ المقاتل من فرصته بأن يكون شجاعاً. وبين الخيارين القاهرين، ينشدُ الجُبَّاب مصيراً مستمراً من العذوبة التي تدفع الحياةُ أبطالها إليها، بعدما عبرت بهم مسارات الهلاك.

(كاتب من سورية)

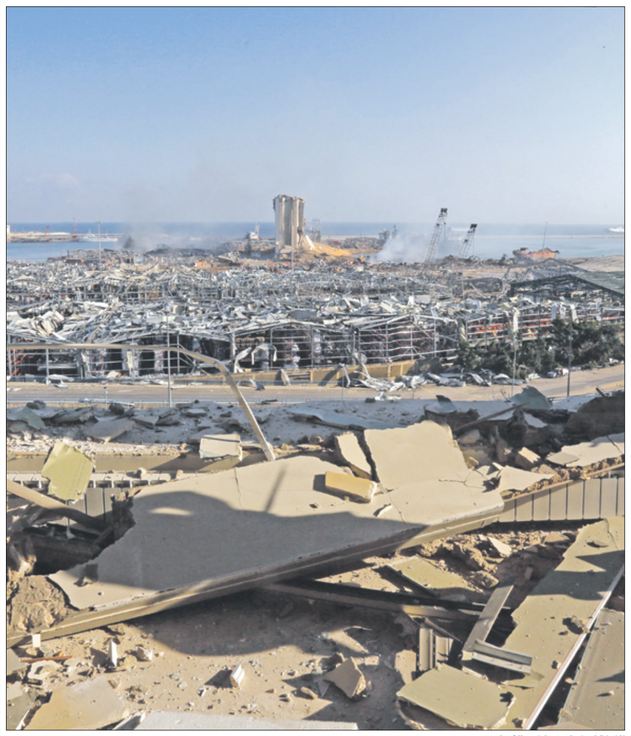

نافذة لم نحلم بها في الكوابيس (Getty)

شظايا من الحائط الأزرق

كأنما سقطت المظلّة.
كأنّما اختفت النعمة. منذ الآن تتكلم الوقائع الكارثية فقط. لبنان كواقع لا كمعجزة، أو كطفل للعرب والعالم.

عباس بيضون

دمنا سيضيع بين القبائل. سرق هؤلاء الزعران مدخراتنا وجنى أعمارنا، وأمس قتلونا شرّ مقتلة، وغداً يشحذون على جثثنا. طائر الفينيق وتلك المراثي الضائعة تصح فقط لو نحّيتم سكاكينكم عن عنق الطائر وأعناقنا، أو زرعناها في قلوبكم السمينة الفاجرة، مرة وإلى الأبد.

محمد ناصر الدين

الآن، صوتنا لعنة أمهات الضحايا الا يهنأ لهم بال. الا يهنأ لهم حال إلى أبد الآبدين. بيروت باقية، كسراً عن رقابهم، عاصمة الألم والأمل.

فواز طرابلسي

خجل من ابنتي، وكل الأطفال الذين في عمرها. شرود في الذكريات التي تحفر لكَ عند النكبات متاهة تختبئُ فيكَ. الشعر بوجع راس فظيع كلما حاولت ان انتقل من ذكريات طفولتي إلى ما حصل قبل ساعات. الشرود يطغى. الخجل من نايرا وكل الأطفال. الخجل من هذا الصباح الاول للنكبة.

وسام سعادة